



اسم الكتاب: غزة مدينة الحرب والسلام

اسم الكاتب: آلاء فتح الرحمن محمد حمد/السودان

إشراف مجلة نور الثقافية

أما قبل:

يظن العالم أنَّ مع كل غارة إسرائِيلية على بيتٍ في غ.-ز، تقتل أسرة فقط مكونة من أبوين وبضعة أبناء. وحدها إس.رائيل تدرك أنه مع كل طفل تقتله، فإنها قد تخلصت من مقاوم من كثائب القسـام في المستقبل، أو طبيب، أو مهندس، أو معلم. وحدها إس.رائيل تدرك أنها تقتل نطفاً لم تخلق بعد، وحدها تدرك أنه عليهما قتل البذور قبل أن تغدو شجرة.

أَمّا بَعْدَ:

قبلت السنين العجاف على غزة، وقرعَت طبول الحرب، فغزَّة مدينة الحرب والإسلام معًا. لذلك، السلام في قلب ذلك الرجل الذي يحمل أشلاء أبنائه ويقول: "اللهم خذ من دمنا حتى ترضى". لذلك السلام في قلوب النساء اللاتي يئمنن بثبات الصلاة كي لا يظهر شئٌ من عوراتهن إذا انشغلن من تحت الأنفاس.

في مدينة غزة في مخيم جباليا كانت هناك أسرة صغيرة تجتمع على مائدة القرآن وتتدافأً بمنهج النبوة المحمدية، إنها أسرة العُمَّ أَحْمَد وزوجته السيدة الموقرة فاطمة ولهم ابنتان وتلاته أبناء. أصولهم من مدينة حيفا ولكن جذورهم عُرِست في مخيم جباليا على أيدي أجدادهم منذ عام 1948 (النكبة الفلسطينية الإسرائيلية) وما غزة إلا امتداد للقدس وحيفا ويافا. أسماء ذات الـ 22 ربيعا هي الابنة الكبرى، كانت طالبة في الجامعة الإسلامية في قطاع غزة وكانت مخطوبة لزميل لها في الجامعة اسمه حمزة وكانا على مشارف التخرج وبعدها سيعقد قرانهما ويجتمعوا تحت سقف واحد. أما محمد ذو الـ 19 عاما فكان شاباً وسيماً تحمله بعض سلوكيات المراهقة الطائشة، نشأ أَحْمَد بين حلقات صفة الحفاظ وحفظ القرآن الكريم كاملاً، كانت قد ورثه جنود كتائب القسام وصورته الذاتية عن نفسه في المستقبل القريب. كان حلمه أن يصبح جندياً ضمن كتائب القسام وشفقه أن يتوج بتلك العصابة الخضراء التي تزيّن جيشه. كانت الحاجة فاطمة أم محمد منيتها أن تشد رحالها إلى المسجد الأقصى المبارك وأن ترى ابنها علي الصغير طيباً وتزف ابنتهما أسماءعروساً لبيت حسها حمزة

في ذات الحجة فاطمة تحتسي فنجان القهوة الصباغي مع ابنها محمد، ورائحة الخبز الزكية تفوح من تورها، وبتبادلان أطراف الحديث.

الحجـة فاطـمة: أتعلـم يا بـنـي مـحمد أـن لـي أـمنـية أـدـعـو اللـه أـن يـبـلـغـنـي إـيـاهـا قـبـلـ مـيـتـيـ؟

محمد: أطال الله في عمرك يا أمي ورزقني برّك. وما هي أمينتك يا أمي؟

الحجـة فاطـمة: أـن أـصـلـي فـي رـحـاب الـمـسـجـد الـأـقـصـي الـمـبـارـك مـحـرـرـاً مـطـهـراً.

محمد: بالطبع يا أمي، سُلّمْتَ لي جميعاً في رحاب المسجد الأقصى مُحرراً، فهذا وعد الله لنا في القرآن منذ 1400 سنة. قال تعالى في سورة الإسراء: (إِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لَيْسُوا بِوْهَنَّكُمْ وَلَيُدْخِلُوكُمُ الْمَسْجَدَ كَمَا دَخَلْتُمُهُ أَوْلَى مَرْتَهُ وَلَيَتَبَرَّوْهُ مَا عَلَوْهُ تَتَبَرِّهَا). سُندَّخَلَهُ إِن شَاءَ اللَّهُ مُحرِّرِينَ كَمَا دَخَلَهُ سَيِّدُنَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فَاتَّحَا.

الحجـة فاطـمة: بـإذن اللـه يـا بـنـي:

محمد: عندما أبلغ نصاب الانتماء إلى كتائب القسام، ستفخرين بي يا أمي وأنا أمشي بكل ثبات أمام دبابة الميركافا المدحجة بأجهزة الاستشعار وأرشقها بقديفية الياسين.

الحجـة فاطـمة: حفـظك اللـه يا بـنـي وقرـعـينـي بـكـ وجعلـك ذـخـرـا لـفـلـسـطـينـ الـحـبـيـةـ.

انتـهـتـ الجـلـسـةـ بـقـسـمـةـ رـغـيفـ الـخـبـزـ المـسـمـرـ مـنـ التـنـورـ بـيـنـ مـحـمـدـ وـوـالـدـهـ.

دخلـتـ عـلـيـهـمـ أـسـمـاءـ وـقـبـلـتـ وـدـتـهـاـ وـاسـتـأـذـنـتـ لـلـخـرـوجـ إـلـىـ دـوـامـهـاـ فـيـ الجـامـعـةـ.ـ تـقـابـلـ حـمـزـةـ وـأـسـمـاءـ فـيـ كـافـيـرـيـاـ الجـامـعـةـ لـيـتـنـاقـشـاـ فـيـ مـشـرـوعـ بـحـثـ بـحـثـ زـمـيلـيـهـماـ سـامـيـ وـهـدـيـ وـبـعـدـ أـنـ تـنـاقـشـوـاـ وـاتـفـقـوـاـ عـلـىـ خـطـةـ الـبـحـثـ،ـ غـادـرـ سـامـيـ وـهـدـيـ الـجـلـسـةـ وـبـقـيـ سـامـيـ وـهـدـيـ لـوـحـدـهـمـاـ.

حـمـزـةـ (ـبـعـدـ أـنـ تـنـفـسـ الصـعـادـ):ـ أـخـيرـاـ يـاـ أـسـمـاءـ،ـ غـداـ يـوـمـ زـفـافـنـاـ قـابـ قـوـسـيـنـ أـوـ أـدنـىـ.ـ عـمـاـ قـرـيبـ سـنـوـقـ أـسـمـاءـنـاـ عـلـىـ غـلـافـ مـلـفـ بـحـثـ التـخـرـجـ،ـ وـبـعـدـهـاـ عـلـىـ وـثـيقـةـ عـقـدـ قـرـانـنـاـ.ـ لـكـ اـسـمـكـ مـحـفـورـ فـيـ قـلـبـيـ مـذـ أـرـبعـ سـنـواتـ مـضـتـ.

أـسـمـاءـ:ـ الـحـمـدـ لـلـهـ يـاـ حـمـزـةـ،ـ صـبـرـنـاـ وـنـلـنـاـ،ـ وـأـسـأـلـ اللـهـ أـنـ يـبـلـغـنـاـ لـحـظـةـ عـقـدـ قـرـانـنـاـ كـمـاـ قـدـرـ لـقـلـبـيـ أـنـ يـنـعـقدـ بـحـبـكـ مـنـ قـبـلـ.

حـمـزـةـ:ـ دـعـيـنـاـ مـنـاقـشـةـ الـبـحـثـ،ـ وـلـنـنـاقـشـ أـسـمـاءـ اـبـنـتـنـاـ الـجـمـيـلـةـ كـأـمـهاـ.

أـسـمـاءـ (ـوـقـدـ اـحـمـرـتـ خـدـودـهـاـ خـجـلاـ):ـ لـوـ رـزـقـنـاـ اللـهـ بـيـنـتـ،ـ سـنـسـمـيـهـ شـامـ،ـ وـلـوـ رـزـقـنـاـ بـصـبـيـ سـنـسـمـيـهـ كـتـانـ.ـ حـمـزـةـ:ـ سـتـكـونـ شـامـ جـمـيـلـةـ كـجـمـالـ الشـامـ،ـ وـخـضـرـاءـ الـعـيـنـيـنـ كـزـيـعـونـ الشـامـ،ـ وـرـقـيقـةـ الـقـلـبـ كـقـلـبـ أـمـهاـ.

بـدـدـ هـدوـءـ تـلـكـ جـلـسـةـ الـوـدـيـةـ اـتـصـالـ مـنـ هـدـيـ لـتـخـبـرـ أـسـمـاءـ وـحـمـزـةـ بـدـخـولـ الـدـكـتـورـ إـلـىـ قـاعـةـ الـمـحـاضـرـاتـ.

مرـتـ الشـهـورـ وـتـخـرـجـتـ أـسـمـاءـ،ـ وـصـارـ يـوـمـ زـفـافـهـماـ قـابـ قـوـسـيـنـ أـوـ أـدنـىـ.ـ كـانـتـ أـسـرـةـ العـمـ أـحـمـدـ كـلـهـاـ مشـغـولـةـ بـتـجـهـيزـاتـ يـوـمـ الزـفـافـ وـضـيـافـةـ الـمـعـاـزـيـمـ.

أـخـيرـاـ جاءـ يـوـمـ الزـفـافـ وـعـقـدـ الـقـرـانـ،ـ وـارـتـدـتـ أـسـمـاءـ فـسـطـانـ زـفـافـهـاـ الأـبـيـضـ مـتـوـجـةـ رـأـسـهـاـ بـأـكـلـيلـ وـرـدـ أـبـيـضـ كـبـيـاضـ الـلـلـجـ.ـ وـفيـ تـلـكـ الـلـحـظـةـ الـتـيـ تـبـادـلـ فـيـهـاـ أـسـمـاءـ وـحـمـزـةـ الـخـوـاتـمـ،ـ نـقـضـتـ إـسـرـائـيلـ الـهـدـنـةـ وـبـدـأـتـ الـغـارـاتـ إـلـسـرـائـيلـيـةـ تـتـرـاشـقـ عـلـىـ غـزـةـ كـطـيـرـ الـأـبـايـلـ عـلـىـ أـصـحـابـ الـفـيـلـ.ـ هـكـذـاـ الـحـالـ فـيـ غـزـةـ:ـ حـرـبـ وـسـلـامـ فـيـ آـنـ وـاحـدـ.

سقطت غارة إسرائيلية على بيت العم أحمد، حيث كانت الأسرة والمعازيم مجتمعين. وانتهت قصة حمزة وأسماء في اللحظة التي بدأت فيها، لتبدأ من جديد في الجنة.

تلك الغارة لم تقتل حمزة وأسماء فقط، بل قتلت شام وكنان (النطف التي لم تخلق بعد)، وقتلت محمد، أحد جنود كتائب القسام، وعلي، طبيب غزة المستقبلي. كما قتلت على إثرها آلاف المرضى الذين كان سيكتب لهم الشفاء على يديه.